الرفد ثم أقبلت على مدحه حتى استعفى، وقال لم يصب وصفى مذ دخلت العراق غيرها والتفت لخازنه وقال لهُ اقطع لسانها، فأراد الخازن ذلك فقالت ويحك إنما الأمير أراد العطاء.. فضحك الحجاج وقال لجلسائه هذه ليلى التى مات ثوبة من حبها ثم قال لها أنشدينا يا ليلى ما قال ثوبة فيكِ، فأنشدت القصيدة التى مطلعها. حمامة بطن الواديين..إلخ فقال وما قلتِ أنتِ فيهِ فقالت: كثيرًا أيها الأمير، فقال هاتِ فأنشدت:

انتهُ المنايا بين زعفٍ حصينةٍ ... واسمر خطىٌّ وجرداء ضامرِ

وهى طويلة ومن مراثيها أيضًا:

أيا عن تبكى ثوبة بن الحُمَيِّر ... بسحٍ كفيض الجدول المتفجرِ

وتبكى عليه من خفاجة نسوةٌ ... بماء شؤون العبرة المتحـدّرِ

إلى أن تقول:

فيا ثوبٍ للهيجا ويا ثوب للندى ... ويا ثوب للمستنتج المتنـــــورِ

ويا ربَّ مكروبٍ أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكرِ

ولها غير ذلك من القصائد والمراثى.

فأنعم عليها الحجاج فوق ما سألت ثم قال لها لكِ حاجة؟ قالت نعم تدفع إلىَّ النابغة أحكم فيه بما أرى، فسمع بذلك النابغة فهرب إلى الشام فتبعته «وهى غير ليلى معشوقة البراق وليلى أم مالك معشوقة عامر أو قيس» «بن الملوَّح»

مراسلات الجهاد

«ذر القميص»

«لحضرة الأديبة الآنسة سلمى كريمة جناب الوجيه يعقوب أفندى نوفل»

«بالاسكندرية»

عزيزتى مديرة جريدة الفتاة أعزك الله

بينما كنت أقلب الطرف فى جريدة البتى فرانس إذ عثرت على مقالة نشرتها تحت هذا العنوان – ذر القميص – إظهاراً للجد تحت طى الهزل، فعربتها بتصرف وعلقت عليها ما جال فى الخاطر مما يناسب المقام، وبعثتها لك على رجاء أن تجعلى لها مقاماً فى صفحات فتاتك الغراء تفكهة للقراء فأقول:

يرى الناظر على جانب من البلوار فى باريس عموداً مرمرياً شاهقاً يعلوه تمثال نحاسى موسوم بملك الحرية واقف على كرة، وهو يلمع بانعكاس نور الشمس كالذهب الوضاح ثم يرى على مقربةٍ من هذا العمود بيتاً لطيفاً فى طرزه عظيماً فى وضعه وهندسته، وهو لرجل من العظاميين قد تزوج بغادةٍ حسناء ذات آدابٍ ولطفٍ ورقةٍ وظرفٍ وسكن معها هذا القصر الباذخ، فرزقه الله منها طفلاً ليس إلاَّ وكانت أمه ناعمة البال قريرة العين تقلبها الدنيا على أكف الهناء والسعادة شأن من أنعم الله عليه بوافر الخيرات وعظيم البركات، وكان طفلها محتضناً بحضن مرضعة ذات علم وآداب وحنينٍ كما كان البيت وإدارته منوطين بخادمةٍ أمينة والمطبخ بعهدة طاهية ماهرة بفن الطباخة ولذلك كان صاحب البيت لا يهمه إلاَّ أن يكون على الدوام مع امرأته متمتعاً بأسباب الشرف والترف وأنواع الهناء والرخاء والصفاء.

وفى صباح ذات يوم رق أديمه واعتل نسيمه نهض من سريره متذكّر وعداً تبادله مع صديق له فى قهوة كائنة على جانب من الشانزيليزيه، فأخذ ثيابه بسرعة خوفاً من التأخير واختلاف الوعود كالحنث بالعهود لا سيما لدى أمة كالأمة الفرنسية التى وصلت مع الدهر إلى مركز تنتهى إليه خطوط التمدن والاداب.

فلما تناول قميصه وجد به زراً مقطوعاً، فدخل سراعاً إلى غرفة امرأته فرآها

جالسةً على طاولة الكتابة تطالع بعض كتب طبية برغبة واعتناء وتروٍ، فقال لها بلطف أرجوكِ عزيزتى أن تصلى زر هذا القميص لأننى وجدته بالصدفة مقطوعًا وقد أزف الوقت الذى به ينتظرنى صديقى، فظنته يقول لها قد أزف الوقت الذى ينبغى أن تكونى به فى المدرسة الطبية لتقدمى الامتحان وتنالى الشهادة الدكتورية، فأحنت رأسها باحتشامٍ فتوهم زوجها بأنها أدركت الغاية فشكرها بلطفٍ ووقف.. أما هى فتبسمت مذ توهمت بأنه يقول أننى مستعد لأن أسمع منكِ بعضًا مما تستعدين إليه لموقف الامتحان وقالت:

إن للنباتات أعضاءً تعرف بالجذور والورق والزهر، وهى فى جسمها كالأسنان والمعدة والقلب فى الجسم الإنسانى فوظيفة الجذور لا تتجاوز امتصاص المياه من الهواء والتراب وبالمياه مع وجود الحرارة يتغذى النبات وينمو نموًا طبيعيًا، وهكذا وظيفة المعدة فإنها تتناول المأكل والمشرب. تحللهما وتعطى بخارهما لبقية الأعضاء فتتغذى به مادة النمو والحياة أما العظام والدم والجهاز العصبى وا.....

فقاطعها الرجل قائلاً: هل ظننتِ عزيزتى بأننى آتٍ من قبل لجنة الامتحان لاستماع ما تعرفينه حالة كونى لم أطلب منكِ إلاَّ تصليح زر القميص، فأجابته حينئذٍ بالاعتذار واستسمحته لعدم إمكانها إنفاذ طلبه بقولها أننى بعد ساعة ساكون واقفةً أمام لجنة الامتحان فى المدرسة الطبية ولى كبير أمل بأن أحصل على الشهادة الطبية فى هذا اليوم إن شاء الله، ولكن لديك ثلاث نسوة فى البيت ويمكن كل منهنَّ أن تنجز مطلوبك بأقرب ما يمكن من السهولة، فأحنى الرجل رأسه بوقار وخرج من لدن امرأته ضاحكًا مستغربًا ثم مضى إلى حجرة المرضعة، فرآها وهى تهز سرير الطفل بيمينها شاخصة ببصرها فى قبة الفلك ولسان حالها يقول:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزانِ

ورمى عقرب بقوسٍ لجـــدى　　نزح الدلو بركة الحيتانِ

فقال لها اعملى معروفًا أيتها الفلكية، وتعالى وأصلحى لى زر هذا القميص فالتفتت إليه ظنًا منه بأنه عالمٌ بقراءة الأفكار وأنه أدرك غايتها مذ وقفت قريحتها عن إيجاد كلمة يتم بها مصراع بيت كانت تنظمه للكواكب والنجوم لتنشده للطفل، كما أنشدته البيتين الموما إليهما ثم أطرقت واضعة أناملها على صدغها وهى تقول: ذر القميص. زر القميص. فأجابها سيدها نعم. زر القميص. فقالت ولكن يا سيدى هذه كلمة لا توافق المعنى لإتمام البيت الجامع فى شطريه كل الكواكب السيارة كما قال أحدهم:

زحل شرى مريخه فى شمسهِ　　فتزاهرت بعطارد الأقمار

فقطب الرجل وجهه غيظًا وكاد يفقد صبره، ولكنه اعتصم بالحلم شأن الرجل الواسع الصدر وكرامة الأخلاق عنوان الفضل ثم برحها وقصد الخادمة فلم يجدها فعرج على المطبخ فرأى الطاهية رافعة الحلل فوق النار وواضعًا على أعلاها الأنابيق وفى يدها كتاب الكيميا تقرأ به.

فقال لها أصلحى لى زر القميص، فسمعت كأنه يسألها عما تفعل فقالت إنى أجرب عملية كيماوية وهذا الكتاب هو كتاب التارومتر أعنى به ميزان الحرارة أو الحرارة والبرد ومخترعه هو الحكيم كونيليوس دربل الهولاندى فى خلال سنة ١٦٢١ مسيحية، وهو كتاب جمع فأوعى وقلَّ فدلَّ ولى من أول هذا الشهر أسأل عنه باعة الكتب وعموم المطابع ولم أعثر عليه إلاَّ مساء البارح فاغتنمت فرصة هذا الصباح وقصدت أن أمتحن به عملية كيماوية، فإن نجحت انتقلت من بين الحلل إلى نوادى العلماء فتتناقل الصحف العلمية أخبارى ويدون التاريخ اسمى ويصدق بى قول القائل:

فقم بعلم ولا تبغى به بدلاً　　فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

وفى هذا الكتاب كافة الامتحانات الجديدة الذى بها علم أن الأوكسجين الذى عرفه الطبيب بريسفلى الإنكليزى سنة ١٧٧٤ لا أقل أهمية من الهيدروجين الذى تكلم عن حقيقته كافنديس الطبيب الإنكليزى الكيماوى فى سنة ١٧٦٦مسيحية، وخاصة كل منهما هى.... فقاطعها الرجل وهو باسم ابتسام الأسد، وقال لها لا ملام عليكِ بما تفعلين بل الملام على من استصحبته فى هذا الصباح فكان من نصيبى طبيبة وفلكية وكيماوية أشعر منهن فى بردِ قارصٍ يكاد يلسع عظمى، وما أتم كلامه حتى رأى الخادمة وعلى رأسها قبعتها وبيدها مروحتها وهى مسرعة نحو الباب، فناداها قائلاً قفِ واصلحى لى زر القميص فلم يعد فى البيت من يصلحه سواكِ.

فأجابته ويدها على قفل الباب أرجوك سيدى أن تسمح لى حيث عندى مرافعة فى مجلس الحقوق، وقد أزف الوقت الذى أكون به أمام هيئة المحكمة قال وهل عليكِ دعوى وأنا لا أعلم بها، فقالت كلا يا سيدى وإنما اليوم موعد استماع الدعوى المرفوعة منى ضد عموم الرجال وسيجتمع القضاة والمحامون والفضلا والنبلاء ليسمعوا إقرارى الأخير وخلاصة ما يحكم لى أو علىَّ.

واعلم يا سيدى بأننى إذا كنت لم أنجح بهذا اليوم بدفاعى عن حقوق الجنس النسائى على إقناع الرجال بأن للمرأة حق المساواة بالرجل سأخسر القضية، على أن الدعوى لصادقة وأن المحامى بالحجة الراهنة لا الواهنة ضعيف السند لا البرهان.

فتبسم الرجل بعد الغضب الشديد، وقال لها اذهبى وإن نجحت فلا ترجعى وخرج من البيت بدون أن يجد به من يصلح زر القميص، وسار على عجلٍ إلى إدارة إحدى الجرائد وطلب من مديرها أن يكتب له إعلانًا بطلب خادمة فرنساوية لا تعرف القراءة والكتابة، وهو يدفع لها أجرة سنوية خمسماية ريال فضحك المدير وقال لهُ إن من تطلبها لأن تكون لك خادمة، فأنا أريدها لى زوجة حيث الذى تشكيه فأنا من قبلك إبكيه.

فعاد الرجل من الإدارة خائبًا وذهب إلى الخياط وقص عليه خبره، فأصلح لهُ زر قميصه وهو يقول فلنحمد الله الذى وصلنا إلى زمن نرى به النساء يسابقن الرجال فى المعارف والآداب لا بالتيه وفخفخة الثياب.

خطرات بال

«بقلم حضرة الكاتبة الفاضلة الآنسة مريم خالد المصونة وكيلتنا»

«فى دير القمر وجبل لبنان»

لا تقعدنَّ عن الأشغالِ والعمـــــلِ ... واركب متن العلى لا تخشى من زللِ

أجهد قوى العقل وارفع قدر صاحبه ... لا تكسلن فموت العلم بالكســـــلِ

واطرحِ المطايا لبيت العلم مســـرعة ... واطوِ الفيافى فخير البر بالعجـــلِ

قف فى معالم أطلال العلوم وقـــل ... من بعد بسملة حييت من طـــــللِ

وارفع ستار الخفا وانظر بجنتـــهِ ... انهارها قد جرت بالشهدِ والعســـلِ

وقـــاده مجهزًا بالعمـــدِ مبتدئًا ... لله درُّك كـــــم رقيت من رجـــلِ

فالعالم كالكنز لا يخطو بهِ رجـــل ... إن لم يكـــن ترقّى حلة البـــطلِ

خفية هار عقلى فى تبحرهـــــا ... حتى عمدتُ إلى التدبير والحـــيلِ

بالدرس تفتحُ أبوابٌ مقفلـــــــة ... ويرتقى للعلى فى أسهل الســـبلِ

اسمحوا لى سادتي أن آتيكم ببعض أفكار علمتها بالاختبار ربما تؤول للفائدة غير خافٍ عليكم أن العالم ليس إلاَّ مدرسة سنَّت قوانينها وتنظمت شرائعها مناسبة لأحوال الإنسان فى كل زمان، فهو مطالب بحفظها مسئول حين مخالفتها لا يستطيع التلمص من تحت نيرها ما زال حيًا، وهى تشتغل دائمًا فى تغييره إلى أحسن ما يرام. بيد أن الإنسان لا يشعر بها ولا يستحسن بنفعها. فإن حفظها ورعاها نال رفعةً وعزًا